ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X
مجلة أبعاد
مجلد 09، العدد 01 (خ)، 2022

# الازمة الديموغرافية: الأسباب والتداعيات

# Demographic crisis: Causes end Impacts



| راشدي خضرة* Rachedi Khadra<br>kha-dra@hotmail.fr | ديموغرافيا | جامعة محمد بن أحمد. وهران2- الجزائر |
|---|---|---|



**********



| تاريخ الإرسال: 2022/01/20 | تاريخ القبول: 2022/04/29 | تاريخ النشر: 2022/05/05 |
|---|---|---|



**ملخص:** يشهد العالم تحولات ديموغرافية هامة أهمها تراجع الخصوبة ووصولها إلى ما تحت معدلات الاحلال منذرة بأزمة ديموغرافية بعد عودة ارتفاع الوفيات بسبب ارتفاع الشيخوخة ووفيات الياس. في حين لا تزال مناطق أخرى تعيش طفرة شبابية لا يمكن اهدارها كعائد ديموغرافي للنمو الاقتصادي وضمان المستقبل. وتشهد الكثير من الدول تراجعا في عدد سكانها بسبب تجاوز عدد الوفيات عدد المواليد وأصبحت سياساتها الحالية تتجه أكثر نحو تشجيع الانجاب لتدارك انكماشها الديموغرافي.

وعمقت الازمة الديموغرافية الازمة الصحية الناتجة عن جائحة كوفيد-19 حيث مست الوفيات كبار السن مشكلة عبئا إضافيا على اقتصاديات الدول الهرمة، بالمقابل ساهمت الجائحة في تعميق هذه الازمة بتراجع الزواج والمواليد.

**الكلمات المفتاحية:** الازمة الديموغرافية؛ الشيخوخة؛ الانكماش الديموغرافي؛ النافذة الديموغرافية؛ جائحة كوفيد-19.

**Abstract**: The world is undergoing significant demographic changes, the most significant of which is the decline in fertility below the replacement threshold. Other regions are still experiencing a youth boom that cannot be wasted as a demographic dividend for economic growth and for their future. Several countries are experiencing population declines because deaths have exceeded births. Thus, the demographic crisis has aggravated the health crisis caused by the Covad-19 pandemic, which has mainly affected older people by increasing the economic burden on older people, and the pandemic has exacerbated this crisis by declining marriage and birth rates.

**Keywords**: Demographic crisis; ageing; Demographic downturn; Demographic window; Covad-19 pandemic

* المؤلف المراسل: kha-dra@hotmail.fr

## 1. مقدمة:

عرف سكان العالم ثورة ديموغرافية مع بداية القرن الواحد والعشرين، بحيث ظل عددهم يتزايد بوتيرة سريعة ومتواصلة مما أحدث انفجارا ديموغرافيا أدى إلى تبني الكثير فكرة تهديده للموارد الطبيعية والبيئة بسبب الاكتظاظ السكاني والاستهلاك المفرط. ولكن ما فتئت الموازين تنقلب واصبح العالم يعيش ثورة ديموغرافية معاكسة في مناطق معينة من العالم، فبسبب تلك النظرة التشاؤمية للنمو السكاني المتزايد التي ولدت سياسات سكانية كانت أحيانا قاسية، تراجعت الخصوبة إلى مستويات متدنية لا تكفي لضمان الحد الأدنى من تعويض السكان مقابل ارتفاع كبير في العمر المتوقع للحياة وعودة ارتفاع الوفيات مما شكل اختلالا في التركيبة السكانية لصالح المسنين معلنا عن ظهور بوادر ازمة ديموغرافية سببها الانكماش الديموغرافي في كثير من الدول المتقدمة، في حين لازالت الكثير من الدول النامية خاصة الافريقية تشهد طفرة شبابية غير مسبوقة في ظل فشل سياسات الاحتواء والاستغلال للكم الهائل من القوة الشبابة.

وظل العامل الديموغرافي من أكثر اهتمامات المتخصصين في التخطيطات والدراسات الاستشرافية التي تضمن أكبر قدر ممكن من نجاح الدولة وضمان قدرتها على الاستمرار والتحكم في عوامل التغير على المدى البعيد. وما من شك ان الرفاهية الإنسانية لا تتم إلا من خلال ثروتين وهما الثروة البشرية وثروة الموارد الطبيعية في ظل سياسة ناجحة لا تغفل خاصة الثروة البشرية، لأنها من تصنع النجاح وتستغل الثروة الطبيعية.

ومن هذا المنطلق، سنحاول القاء الضوء على الازمة الديموغرافية في العالم مبرزين مفهومها واسبابها ونتائجها وعواقبها وأخيرا علاقتها بالأزمة الصحية المرتبطة بجائحة كوفيد-19.

## 2. مفهوم الأزمة الديموغرافية:

تعرف الازمة عموما على أنها' حالة من الخلل الوظيفي في نظام ما، بات غير قادر على أداء وظائفه، أكان ذلك بفعل تغيرات في الظروف المحيطة به، أم بتأثير من خصائصه الداخلية في حد ذاته (Oridiono,2011, p.139)'وكذلك الازمة الديموغرافية التي نتجت عن تغير كبير في النظام الديموغرافي بفعل التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي عرفتها المجتمعات. وتأخذ الازمة الديموغرافية وجهين كل

منهما مرتبط بأهمية نمو وعدد السكان، فقد تخص الازمة الديموغرافية انخفاض عدد السكان كما تخص ارتفاعه.

ويتقاطع مفهوم الازمة الديموغرافية بمفاهيم أخرى أهمها:

**الانكماش الديموغرافي**: وهو تراجع السكان بفعل تجاوز عدد الوفيات عدد المواليد. مما يؤدي إلى تراجع القوى العاملة وعدد المستهلكين ويزيد تكاليف الرعاية الاجتماعية والاقتصادية للمسنين.

**النافذة الديموغرافية**: وهي حالة ديموغرافية يمر بها السكان عندما تتعدى نسبة الفئة المعيلة(15-64 سنة) نسبة الفئة المعالة (الأقل من 15 سنة والأكثر من 65 سنة).

## 3. التحول الديموغرافي والازمة الديموغرافية:

ولفهم الازمة الديموغرافية نعود لنظرية التحول الديموغرافي التي تبقى النظرية الوحيدة التي تقدم اليات التحول الديموغرافي في كثير من مناطق العالم. وتنص النظرية التي ارسى أسسها لأول مرة(1934) A. Landry ، على أن التحول السكاني يمر بثلاث مراحل أساسية، حيث تسمى المرحلة الأولى بمرحلة النظام القديم والتي تتميز بولادات ووفيات منخفضة بسبب الظروف المعيشية والصحية المتدنية والثقافية والسياسية التي شجعت على ارتفاع الولادات والوفيات ليكون النمو السكاني متباطئا، ثم تبدأ المرحلة الثانية وهي مرحلة الانتقال الديموغرافي التي تنقسم بدورها إلى مرحلتين حيث تبدأ المرحلة الأولى بانخفاض الوفيات نتيجة التحسن في المستوى المعيشي والصحي مع بقاء معدلات الولادات مرتفعة مما يولد معدلات نمو كبير أدت إلى انفجار سكاني، ثم تبدأ المرحلة الثانية في استمرار انخفاض الوفيات ولكن انخفاض ايضا في عدد الولادات بسبب خاصة تحسن التعليم ووضع المرأة مما يؤدي إلى انخفاض معدلات النمو السكاني وباستمرار ذلك تبدأ مرحلة النظام الديموغرافي الحديث الذي يتميز بثبات مستويات منخفضة لمعدلات الولادات والوفيات. على أن هناك مرحلة أخرى تضاف إلى النظرية التقليدية وتعرف بمرحلة التحول الثاني وهي بقاء معدلات المواليد منخفضة ووصول الخصوبة إلى مستويات تحت معدل الاحلال وارتفاع معدلات الوفيات مما ينتج عنه معدلات نمو سالبة وتتميز بالشيخوخة وهنا تظهر مرحلة الازمة الديموغرافية بمعدلات نمو سالبة.

ودخلت الكثير من الدول المرحلة الثالثة من التحول الديموغرافي التي تتميز بانخفاض شديد للمواليد. حيث كانت التنمية المحرك الأساسي للتحول الديموغرافي في الدول الصناعية التي دخلت المرحلة الثانية منذ منتصف القرن التاسع عشر وتشهد حاليا مرحلة جديدة في الكثير منها كإيطاليا واليابان وألمانيا. ومنها من اجتازت كل المراحل كالصين واليابان حيث تغيرت تركيبتها السكانية بشكل كبير ويتزايد عدد المسنين فيها مقابل تراجع الخصوبة إلى مستويات جد متدنية لا تضمن تعويض الأجيال مع استمرار تراجع معدلات النمو وبالتالي تهدد بأزمة ديموغرافية.

**الشكل1: مراحل التحول الديموغرافي**

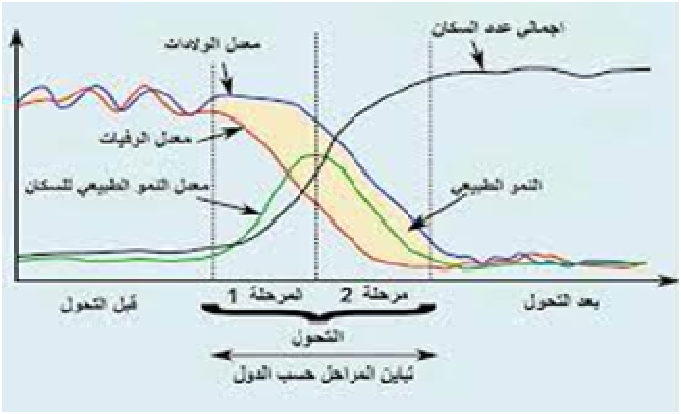


## 4. الأزمة الديموغرافية:

اعتبر السكان قديما مصدرا للقوة وزيادة عدد السكان يعني مزيد من المجندين في الجيوش ومن المساهمين في الضرائب بالإضافة إلى المزيد من العاملين المنتجين. حتى جاء T. Malthus (1798) مدحضا أفكار عصر التنوير أمثال سميث وتبنى وبنظرة تشاؤمية فكرة أن السكان ينمون بمتوالية هندسية مقابل نمو الموارد بمتوالية حسابية وعلى أنهما قانونين طبيعيين وهو ما سينذر بأزمة اقتصادية واجتماعية ستنتهي بالسكان إلى المجاعات وحالة من البؤس والرذيلة . وفي عام 1968 أصدر ايرليش كتابه الشهير ' القنبلة السكانية' ولم يكن اقل تشاؤما من مالتوس وحذر من مجاعة كبرى في السبعينات بسبب النمو السكاني المتزايد. ورغم أنه كان مخطئا ولم تحدث أي مجاعة كما أخطأ قبله مالتوس عندما بدأ النمو السكاني يتباطآ وارتفع الإنتاج وتنوع بسبب

التكنولوجيا الحديثة، إلا أن النمو السكاني ظل هاجس السياسيين وأصحاب القرار. فتحول الخوف من الانفجار إلى الخوف من الانهيار الديموغرافي حيث تشهد الكثير من مناطق العالم انكماشا ديموغرافيا ملحوظا بسبب تراجع نسبة الصغار وارتفاعها عند المسنين. مما سيشكل تهديدا لاقتصاديات هذه الدول وحتى مستقبلها التاريخي والوجودي كأمم.

فتراجع عدد المواليد إلى مستوى اقل من نسبة الاحلال. وارتفع أمل الحياة بفضل تحسن الأوضاع المعيشية والصحية، وتراجع النمو السكاني بسبب ارتفاع الوفيات الناتجة ليس فقط عن الشيخوخة ولكن أيضا بسبب الحوادث والامراض الجديدة والجرائم، ووفيات الياس الناتجة عن الانتحار والادمان والتي تقوض النتائج المحققة في أمل الحياة بحيث تؤدي إلى تراجعه بسبب الوفيات المبكرة . وأصبحت الفردانية والانانية تشجع الفرد على عدم الزواج والانجاب لينعم بأكبر قدر من الحرية في التمتع بالحياة بعيدا عن مسؤوليات الاسرة والابناء. بالإضافة إلى تزايد العراقيل الاقتصادية الناتجة عن البطالة وارتفاع تكاليف العيش.

## 5. عواقب الازمة الديموغرافية:

إذا كان ينظر إلى الازمة الديموغرافية الناتجة عن الانفجار الديموغرافي وتزايد السكان سريعا في منتصف القرن الماضي كعائق يهدد رفاهية الشعوب، ها هي الازمة المعكوسة الناتجة عن الانهيار الديموغرافي تلوح في الأفق الديموغرافي للكثير من دول العالم. 'فبحسب دراسة لمعهد ماك بلانك للبحوث الديمغرافية الألماني، فإن عدد سكان القارة الأوروبية كلها سيتراجع بمقدار 50 مليون نسمة بحلول عام 2050، كما أن كل جيل سيقل عن سلفه بنسبة 25 في المئة، ويكمن السبب في هذا التراجع في ارتفاع معدلات الشيخوخة مقارنة بمعدلات الولادات'(ذكر الله، 2021) وهذا التراجع سيولد أزمة ديموغرافية لها عواقب اجتماعية واقتصادية كبيرة أهمها نظام المعاشات .

فارتفاع عدد المسنين يؤدي إلى استنزاف موارد صناديق التقاعد ويهدد مستقبل نظم الحماية الاجتماعية في ظل تراجع القوة العاملة القادرة على تامين ذلك. وبصفة عامة 'هناك عدد من القضايا التي ينبغي النظر فيها عند تناول تحديات شيخوخة السكان، بما فيها: جوانب النوع الاجتماعي للشيخوخة؛ تغير التكوين الأسري وأنظمة الدعم الأسري، والحفاظ على الصحة مدى الحياة والشيخوخة النشطة، ومساهمة المسنين في

الأسرة والمجتمع، وفقر المسنين؛ وخطط المعاشات والأمن الاجتماعي، وإمكانية الحصول على الخدمات الاجتماعية والصحية الأساسية، والتمييز والعنف ضد المسنين وإساءة معاملتهم، وحقوق الإنسان للمسنين، وأثر التحضر والهجرة على المسنين، والمسنين في الحالات الطارئة، وخلق البيئة التي تساعد على تمكين المسنين(صندوق الأمم المتحدة للسكان، 2010، ص.60) .

وبسبب ارتفاع الشيخوخة سيتباطأ الاستهلاك وسيتغير نمطه مما يؤثر على عمليات الإنتاج وانواعه. و'قد يكون له انعكاسات عميقة على المنتجات والخدمات التي سيطلبها السكان، وسيؤثر حتما على صحة وازدهار القطاعات المعنية وعلى جاذبيتها بالنسبة للمستثمرين' حسب دراسة أنجزها فرع الأبحاث حول إدارة الثروات في "اتحاد المصارف السويسرية (بخات، 2006). بحيث سيتجه الإنتاج نحو توفير الاحتياجات الأساسية للمسنين كهياكل الرعاية والصحة والخدمات المالية والاتصال مسايرة لأعدادها المتزايدة ومراعاة لظروفها الصحية والاجتماعية مما يعني تقهقر الإنتاج والنمو في قطاعات أخرى بسبب نقص الايدي العاملة وقلة الطلب على منتوجات معينة.

وسيهدد تراجع السكان النمو الاقتصادي واستمرار التنمية، فحسب تقرير الأمم المتحدة الصادر بنهاية عام 2019 سيتراجع النمو الاقتصادي للقارة الأوروبية بين 0.5 و1% سنوياً على مدار السنوات 15-20 القادمة، ممَّا يعني عدداً أقل من فرص العمل وانخفاض الإنتاجية، وانخفاض الإنفاق العام على السلع العامة، وتزايد أعباء الدين الوطني المستقبلي، وباختصار فان التراجع السكاني سيتسبب في تشوه الاقتصاد الأوروبي. (ذكر الله، 2021).

وتحاول الكثير من الدول التصدي للازمة الديموغرافية عن طريق تشجيع الانجاب، ولكن بما أن الانجاب يتعلق بسلوك الافراد ومن الصعب تغييره فلا يمكن ملاحظة نتائجه إلا على المدى البعيد. فكانت الهجرة هي السياسة البديلة لضمان اليد العاملة القادرة على تقليص نسبة الإعالة الاقتصادية. ولكنها تطرح مشاكل للدول المستقبلة وعلى المهاجرين أنفسهم بسبب أن سياسة الادماج تتصادم مع الخصائص السوسيوثقافية للمهاجرين وهو ما يهدد الكيان الاجتماعي والثقافي لهذه الدول. كما لجأت دول اخرى إلى رفع سن التقاعد الظي لم يكن حلا كافيا لأنه يعالج نتائج تراجع النمو السكاني وليس أسبابه.

## 6. نماذج عن الازمة الديموغرافية في العالم:

رغم استبعاد توقعات نمو سكاني سالب لمعظم بلدان أفريقيا، إلا أن هناك عددا من بلدان أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي وآسيا، إضافة إلى أوروبا، تشهد بالفعل تراجعًا سكانيًا أو معدلات نمو سلبية، من شأنها أيضًا أن تؤدي على المدى الطويل إلى التراجع السكاني. وتتسم الأوضاع بالجدية خاصة في أوروبا الشرقية، حيث فقدت بلدان مثل جورجيا ومولدوفا وبلغاريا ولاتفيا وإستونيا وليتوانيا وأوكرانيا ما يزيد عن 10 % من سكانها في الأعوام الأخيرة (صندوق الأمم المتحدة، 2010، ص.58). ورغم انه من المبكر الحديث عن الازمة الديموغرافية في العالم عامة، إلا أنه لا يمكن طمس معالمها في بعض الدول كالصين واليابان.

**6-1-الصين**: تشير معطيات اخر تعداد (2020) إلى تراجع النمو السكاني إلى مستويات أدنى منذ خمسينيات القرن الماضي وهي نتائج سياسة الطفل الواحد التي تبنتها الصين عام 1979 لمواجهة النمو السكاني المتزايد. ورغم أنها تراجعت عن هذه السياسة عام 2015 بل رفعت القيود عن الانجاب عام 2018، إلا ان عدد السكان ظل اقل نموا من السابق. وتشير توقعات الأمم المتحدة إلى ان عدد سكان الصين سيبدأ في التراجع ابتداء من 2020 وسيتواصل ذلك إذا استمرت الخصوبة في التراجع أو في مستوياتها المتدنية الحالية .

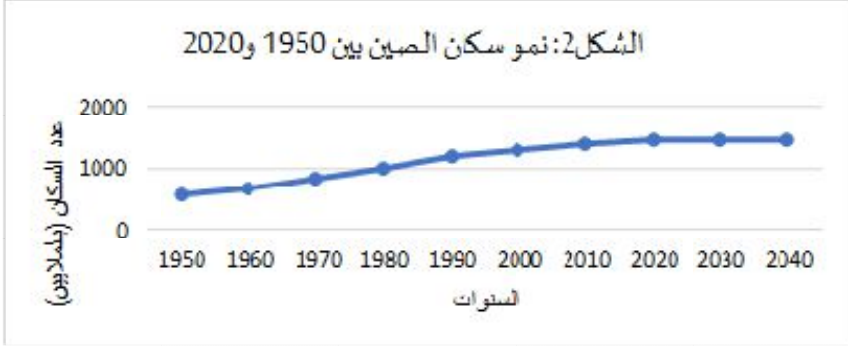


المصدر: (populationpyramid.2021)

ويعود ذلك إلى تراجع معدلات النمو الطبيعي الناتجة عن انخفاض معدلات المواليد، حيث قدرت سنة 2020بـ 11.3‰، وارتفاع معدلات الوفيات إلى 7.41‰ ليصل معدل النمو الطبيعي إلى 0.3% فقط وهو معدل ضعيف جدا يؤدي إلى نمو بطيء.

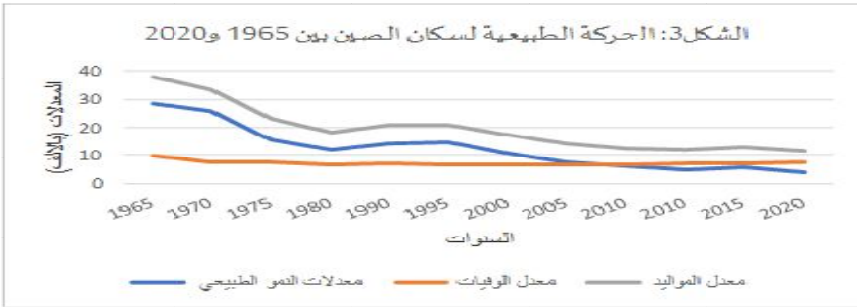


المصدر: (albankaldawli.2021).

ويمكن ملاحظة تطور الهرم السكاني للصين بين 1975 و2020. فقد تميز هرم عام 1975 بقاعدة عريضة وقمة مدببة أي نسبة عالية من الأطفال والشباب مقابل نسبة اقل من المسنين ثم تغير خلال اقل من نصف قرن ليأخذ شكل الوعاء اين ارتفعت نسبة البالغين والمسنين مقابل تراجع خطير في عدد صغار السن. حيث تراجع عدد الأطفال الأقل من 15 سنة من حوالي 40% في أواخر الستينيات من القرن الماضي إلى اقل من 18% سنة 2020. وتدعمت أفواج البالغين بعدد أكبر اين انتقلت نسبتهم من 34% إلى 73% في نفس الفترة . والواقع أن هذا الارتفاع الكبير في عدد البالغين ووصولهم بأعداد كبيرة ومتراكمة إلى مرحلة الانجاب هو ما ضمن للصين ارتفاعا متواصلا في عدد السكان (الزخم السكاني) رغم وصول الخصوبة إلى مستوى اقل من معدل الاحلال.

**الشكل4: الهرم السكاني للصين لسنتي 1975 و2020**

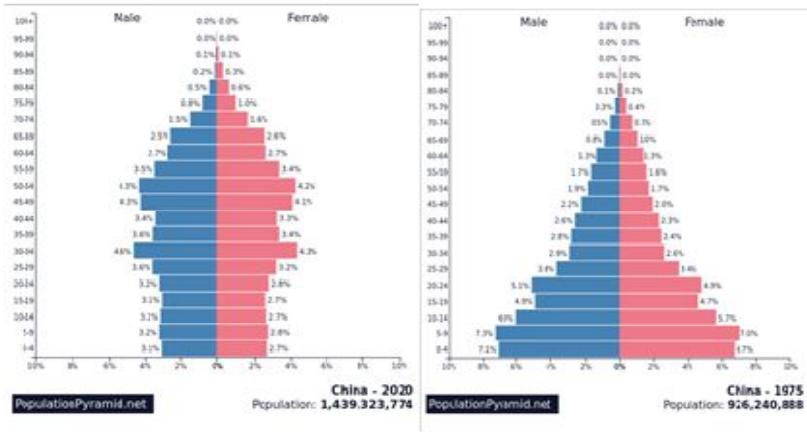


المصدر: (populationpyramid.2021)

واعتبر الفائض في عدد البالغين خاصة الشباب عائدا ديموغرافيا وركيزة أساسية للنمو الاقتصادي للصين حتى 2010. إلا أنها ما فتئت تحصد فشل سياستها في السنوات الأخيرة واختلال نظامها الديموغرافي وهو ما يهدد مستقبلها كأمة ويقوض استمرارها كقوة. ورغم أن هذه النظرة التشاؤمية سابقة لأوانها، إلا أن الازمة الديموغرافية في الصين بدأت تلوح في الأفق مع تعاظم المشاكل الديموغرافية .

فبسبب سياسة الطفل الواحد انهارت معدلات الخصوبة منذ التسعينيات إلى اقل من معدل الاحلال وبلغت 1.7 طفل/امرأة سنة 2020 وهذا سيؤدي مع مرور الوقت إلى تراجع الفئة المنتجة بالمقابل ستتدعم فئة المسنين بأعداد كبيرة نتيجة ارتفاع متوسط البقاء والذي قدر سنة 2019 بـ 76.91 سنة وهو مرشح للارتفاع أكثر مع زيادة التحسن في المستوى الصحي وهو ما سيعمق العبء الاقتصادي للتكفل بهذه الفئة .

وتعاني الصين من تراجع عدد الاناث، إذ لجأ الأزواج الصينيون وفي ظل اجبارية الطفل الواحد إلى التخلص من الجنين الانثى عن طريق الإجهاض والاحتفاظ فقط بالذكور لدواعي اجتماعية واقتصادية. حيث بلغ معدل الذكورة 112 ذكر لكل 100 انثى عند الميلاد وهو ما أدى إلى اختلال التوازن في سوق الزواجية ووجود فائض للذكور مقارنة بالإناث مما عمق معاناة الشباب في الحصول على شريكة خاصة الفقراء .

وبسبب سياسة الطفل الواحد 'تتلاشى الهياكل الأسرية الصينية التقليدية أو تتبخر. منذ بداية التاريخ المكتوب، اعتمد المجتمع الصيني على شبكات القرابة الممتدة للتعامل مع المخاطر الاقتصادية. ومع ذلك فإن جيلًا صاعدًا من شباب الصين في المناطق الحضرية يتكون من أطفال وشبان وشابات فقط ممن ليس لديهم أشقاء أو أبناء عم أو عمات أو أعمام.(Eberstadt,2019) '

**2-6-اليابان**: تسجل اعلى نسبة للمسنين في العالم في اليابان بـ 28.4% عام 2020 مع ارتفاع كبير في أمل الحياة بلغ 84.36 سنة عام 2019 وهي العمر الأعلى في العالم. ويقدر متوسط عدد الأطفال لكل امرأة بـ 1.4 طفل/امرأة سنة 2020 وهو لا يكفي لتعويض الأجيال الحالية. وارتفع معدل الوفيات الناتج عن ارتفاع عدد المسنين ليفوق معدل المواليد منذ حوالي 2007 ليستمر انخفاض معدلات النمو السكاني منذ هذه السنة بشكل ملاحظ مسجلا قيما سالبة وصلت إلى 0.37-% سنة 2020.

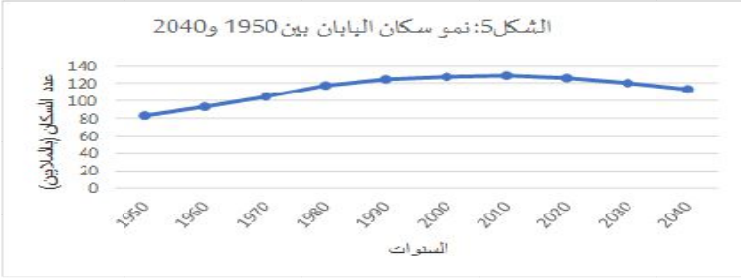


المصدر: (populationpyramid.2021)

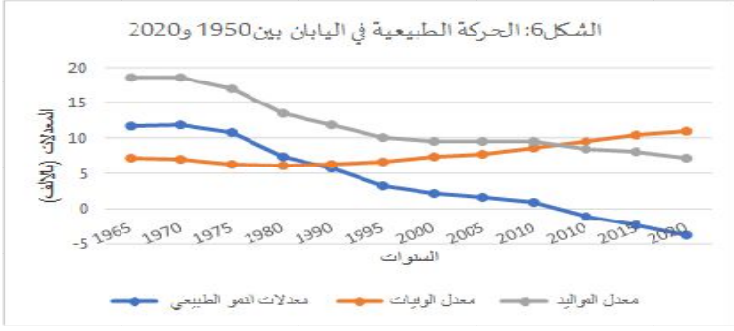


المصدر: (albankaldawli.2021)

ويتوقع ان يستمر هذا الانخفاض في السنوات القادمة إذا ما بقيت الأوضاع الديموغرافية على حالها منذرة بأزمة ديموغرافية لأمة لا يختلف تاريخها عن تاريخ الصين وعظمته.

**الشكل7: الهرم السكاني لليابان لسنتي 1950 و2020.**

المصدر: (populationpyramid.2021)

ورغم ان السياسة السكانية لليابان لم تدعو صراحة السكان إلى تحديد الانجاب، إلا ان اليابانيين ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية أصبحوا أكثر تركيزا على العمل الجاد مما أثر على حياتهم الشخصية وخاصة الإنجابية.

7. **النافذة الديموغرافية**: خلال مراحل التحول الديموغرافي تتغير التركيبة العمرية للسكان: تتزامن المرحلة الأولى من التحول الديموغرافي مع مرحلة ما قبل العائد حيث السكان الأصغر سنا هم الغالبون أي نسبة اعالة كبيرة للصغار، وتنتهي بمرحلة ما بعد العائد حيث المسنون هم الاغلب أي نسبة اعالة اكبر للمسنين وبينهما تحدث الفرصة الديموغرافية التي يتضخم فيها عدد البالغين في سن العمل (العائد الديموغرافي) حيث تنخفض نسبة الاعالة الكلية بسبب انخفاض عدد الصغار والمسنين الذين يعيلهم الشخص العامل مما يسمح بالحفاظ على الدخل ومستوى استهلاك ورفاهية عالية إذا ما تم فعلا استغلال هذه الفرصة جيدا . حيث استغلت الكثير من الدول كالصين وكوريا وسنغافورة العائد الديموغرافي واستثمرت الكم الهائل من الشباب كرأس مال أساسي في الصعود اقتصاديا قبل ان تنغلق هذه النافذة بارتفاع عدد المسنين وتراجع عدد البالغين وبالتالي عودة ارتفاع معدلات الاعالة من جديد.

**الشكل8: التحول الديموغرافي والعائد الديموغرافي**

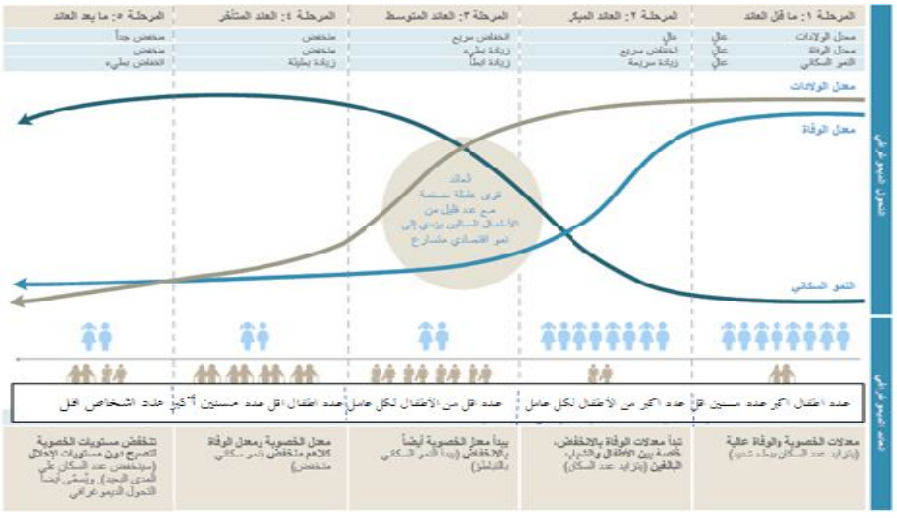


المصدر: اليونيسيف، 2019، ص.18(بتصرف).

وإذا كانت بعض الدول تعرف انكماشا ديموغرافيا، لازالت دول أخرى خاصة في افريقيا وبعض دول شرق اسيا تشهد طفرة ديموغرافية في ظل تواجد عدد كبير جدا من سكانها ضمن الفئات الشابة والتي لا يجب اهدارها لأنها فرصة لا تتكرر إذا ما واصلت الخصوبة انخفاضها. فتواجد هذا العدد الكبير من الشباب يفرض تحديات تتعلق بالصحة والتعليم والعمل لامتصاص هذه الطاقات. فقد استفادت دول جنوب شرق اسيا من هذه الطفرة الشبابية للإقلاع الاقتصادي ايمانا منها أن الاستثمار الأكبر في الانسان هو أساس التنمية والنمو الاقتصادي وعملت على تطوير التعليم والتكوين واتاحة فرص العمل والابداع. في الوقت الذي نجد فيه دولا نامية أخرى لا تعطي أهمية لهذه الفرصة ومنشغلة عنها. فنرى الكثير من شبابها يعاني الإهمال والبطالة والهجرة وهو ما ينعكس سلبا على استقرارها وأمنها ومستقبلها. ففي ظل التحديات التي تفرضها التكنولوجيا الحديثة وسهولة الوصول إليها والتعاطي مع وسائلها، قد يتعرض الشباب للاغتراب، ويصبح من الصعب التعامل مع سلوكياتهم وتطلعاتهم وانتفاضاتهم ضد أوضاعهم وليس أعدادهم فقط خاصة أن أكثر الشباب حاليا متعلم وأكثرهم يعانون أوضاعا اجتماعية واقتصادية مزرية أهمها البطالة التي تفاقمت من تبعات الاتمتة التي دعمتها هذه التكنولوجيا وعوضت الكثير من الايدي العاملة مما هددت باختفاء الكثير من الوظائف واحالة عدد كبير من الموظفين على البطالة.

وترتبط الطفرة الشبابية بالأمن والاستقرار، إذ اشار Bloom (2020) إلى أنه ' يتضح من احداث العقد الماضي، بدء من الانتفاضات العربية وحتى موجة الاحتجاجات الشعبية الأخيرة في شيلي والسودان، أن البلدان التي لا تستطيع توفير عدد كاف من الوظائف لأعداد الشباب الكبيرة تصبح عرضة لعدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي'(بلوم، 2020، ص.7). كما ' يؤكد الكثيرون أن النزاعات المسلحة يمكن تاريخيا تفسيرها جزئيا بوجود نسبة مفرطة وغير متناسبة من الشباب، سواء في أمريكا اللاتينية في ثمانينيات القرن العشرين، أو في اليابان في ثلاثينياته. وإذا مضينا إلى ابعد من ذلك، فإننا نجد بول كنيدي يؤكد ان الثورات التي تحدث بوتيرة أسرع أعلى في البلدان التي يوجد فيها اعداد كبيرة من الشباب النشيطين والمحيطين' (عناية الله، 2020، ص.304).

وقد تتآكل الفرصة الديموغرافية إذا لم تتخذ الإجراءات اللازمة في احتواء واستغلال هذا العدد الكبير من الشباب كطاقات نشطة ومنتجة وفرصة للتنمية وقاعدة لمستقبل ناجح.

## 8. الأزمة الديموغرافية وجائحة كوفيد-19:

تؤدي الازمات (الحروب والمجاعات والاوبئة) إلى القطيعة الديموغرافية التي تسبب ارتفاع الوفيات وتراجع الزواج والانجاب، ويصبح التعامل مع هذه القطيعة واثارها مرتبط بمدى استجابة وقدرة الدول على مواجهتها. فمنذ الحرب العالمية الثانية، أدى التركيز الجديد للبحوث على السكان في الماضي إلى إيلاء قدر كبير من الاهتمام لآثار الأوبئة على الاقتصاد وعلى النمو السكاني، وعلى الإدارة الجماعية للوباء والمواقف تجاه الموت' (بوردولي،2020). وتعتبر جائحة كوفيد-19 حدثا صحيا غير مسبوق في التاريخ الحديث ولئن كانت لهذه الجائحة تداعيات اجتماعية ونفسية واقتصادية على المجتمعات فانه لا يمكن انكار تداعياتها الديموغرافية. والواقع انه في زمن الجائحة، ظهرت الديموغرافيا سببا ونتيجة للازمة الصحية.

**8-1-ا: جائحة كوفيد-19 تعمق الازمة الديموغرافية:** شهد التاريخ منذ فجره الأول اوبئة ساهمت في هدر ديموغرافي كبير أدى إلى اضطراب الظواهر الديموغرافية أهمها ارتفاع الوفيات وساهمت بشكل غير مباشر في تغير كلا من الزواجية والخصوبة والهجرة. وتعتبر الوفيات من أكثر ما وثقته المصادر الديموغرافية وكانت الإنفلوانزا الاسبانية (1918)، التي أودت في تقديرات بعض المؤرخين إلى ما بين 50 و100 مليون شخص بما يساوي بين 1% و5% من سكان العالم في هذه الفترة(Tertrais,2020) ، من أكثر الأوبئة فتكا في التاريخ الحديث ورغم ان الوفيات الناتجة عن كوفيد-19 لم تصل إلى حد خطير، إلا أنها عمقت الازمة الديموغرافية التي ميزت الدول المتقدمة الهرمة عندما مست فئة المسنين مضاعفة العبء السابق في حمايتهم ورعايتهم.

وتشير الدراسات الحديثة أن هذه الجائحة ساهمت وتساهم بشكل واضح في احداث تغيرات ديموغرافية مهمة جدا كتلك التي نشرها مؤخرا المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية بفرنسا والتي أكدت على أن الجائحة سببت في سنة 2020 تراجعا للنمو الطبيعي للسكان بفعل ارتفاع الوفيات، كما تراجع أمل الحياة عند الولادة مقارنة بسنة 2019 منخفضا بـ 0.5 بالنسبة للنساء وبـ 0.6 بالنسبة للرجال، بالإضافة إلى

تراجع عدد الزيجات بنسبة 31% ( INSEE,2021 ) في حين تراجع هذا المؤشر بين 2019 و2020 بـ 1.5 سنة في الولايات المتحدة الامريكية.(Le Figaro &AFP.2021)

وفي دراسة لمعهد الديموغرافيا التابع لجامعة فيينا ومعهد (ماكس بلانك) الألماني تبين ' أن العوامل النفسية، التي تسببت فيها الجائحة وتداعياتها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، كل هذا أفضى إلى الشعور بالقلق من المستقبل الغامض، مما أقنع العديد من الأزواج بإلغاء فكرة الولادة أو على الأقل تأجيلها إلى حين اتضاح الصورة أكثر... وترى الدراسة أن توالى موجات وطفرات وسلالات هذا الفيروس، وما فرضه كل ذلك من حجر صحى شامل، كل ذلك مثل منعرجًا مهمًا في المسار الديموغرافي الذي كان يسير عليه العالم إلى غاية ما قبل الجائحة '(البقالي، 2021)

**8-2-: الأزمة الديموغرافية تعمق الازمة الصحية**: عندما أعلنت منظمة الصحة العالمية كوفيد-19 جائحة، كانت هذه الجائحة تستهدف الفئات الأقل صحة والأكثر هشاشة، انهم المسنون، وظهرت بوادر الازمة الصحية وما خلفته من ازمة نفسية واقتصادية أكثر ازعاجا في الدول التي تعرف نسبة كبيرة من هؤلاء المسنين أكثرها الدول الأوروبية، ' فنحو 70 % من الوفيات هم أكثر من 65 عاما مست دولا مثل إسبانيا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل (شرقي،2020). وتعتبر إيطاليا نموذجا للدولة التي عمقت فيها الازمة الديموغرافية الازمة الصحية. ويعتبر هذا البلد الأكثر شيخوخة في اوروبا ويحتل عالميا المرتبة الثانية بعد اليابان ويعرف انكماشا ديموغرافيا منذ عام 2015. وعليه لعب الهيكل العمري الهرم للكثير من الدول دورا كبيرا في ارتفاع معدلات الوفيات بسبب هذه الجائحة. حيث يمكن ملاحظة الهرم السكاني للوفيات الناتجة عن هذه الجائحة في بدايتها اين تظهر انها فتكت بنسبة كبيرة بالأعمار المتقدمة وعند كلا الجنسين كما هو ملاحظ في الشكل9 .

**الشكل9: الهرم السكاني للوفيات الناتجة عن كوفيد-19 في بداياتها سنة 2020 في بعض البلدان**

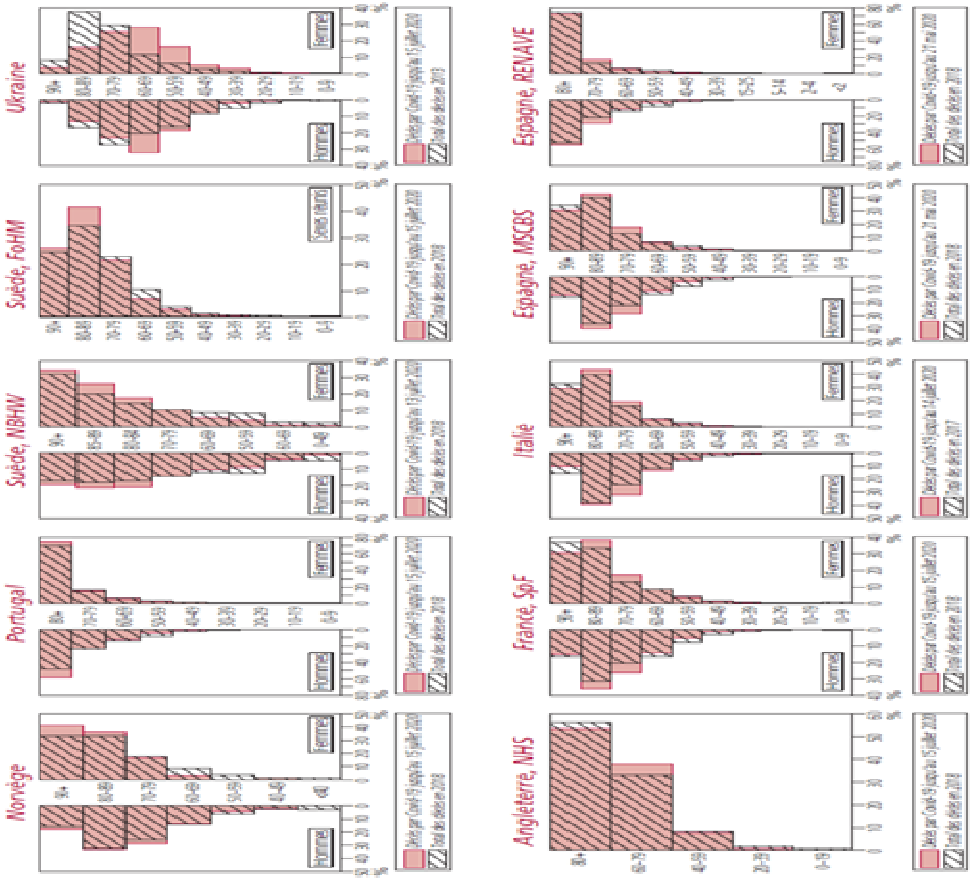


المصدر:Garcia et autres. 2021, p.71

وارتفعت معدلات الوفيات بسبب الجائحة في الدول المتقدمة والتي تتميز بأنظمة صحية عالية الجودة. بسبب الازمة الديموغرافية في هذه الدول، إذ ترتفع متوسطات عمر سكانها إلى أكثر من 41 سنة وهي أعمار كبيرة جدا تعكس ارتفاع نسبة المسنين فيها بحيث نجد ان عددهم يصل أو يفوق خمس عدد سكانها مما ساهم في ارتفاع ضحايا هذه الجائحة. حيث وصلت نسبة الوفيات في الاعمار التي تساوي او تزيد عن 70 سنة في أواخر جويلية 2021 (INED,2021)إلى 85% في اسبانيا، 90.2% في السويد و83.7% في فرنسا ولا يختلف الحال في معظم الدول الأوروبية.

ولكن وبالتحول الذي يعرفه الفيروس تغيرت الهيكلة العمرية للوفيات وأصبح الشباب مستهدفين أيضا، لتنذر بأزمة معاكسة في الدول التي تعرف ارتفاعا كبيرا لهذه الفئة وتعمق الازمة أكثر في الدول الهرمة. وهو ما نلاحظه في دول العالم النامي والتي تعاني أنظمتها الصحية بالضعف ونقص الإمكانات، ورغم كونها دول فتية، إلا أنها سجلت اعلى المعدلات في العالم بسبب استهداف الجائحة مؤخرا لفئة الشباب مع بقاء الوفيات دائما اعلى عند المسنين.

وأخيرا يمكن أن نستنتج ان تأثير جائحة كوفيد-19 على الديموغرافيا ورغم وضوحه لبعض الدول (كفرنسا ) سيظهر على المدى المتوسط والبعيد نتيجة ما سببه من ارتفاع للوفيات ولكن خاصة لآثاره النفسية والاجتماعية التي اثرت على الزواج والخصوبة. أما الأثر العكسي، فقد كان واضحا مع بداية الجائحة والتي استفحلت أكثر في الدول التي ترتفع فيها نسبة الشيخوخة وبما انها حاليا تستهدف الشباب فسينعكس الامر وستصبح كل الدول أكثر مهددة ما لم تتخذ الإجراءات الضرورية لمواجهتها.

**خاتمة :**

رغم أن الكثير يتفاءل ويستبعد الازمة الديموغرافية عالميا رغم بروزها في بعض الدول، إلا أنه لا يمكن انكار تلك المنعطفات الديموغرافية الخطيرة التي يشهدها جزء هام من عالمنا منذ انهيار الخصوبة إلى مستويات ضعيفة لا تكفي لتعويض الأجيال الحالية، مقابل ارتفاع الوفيات الناتج عن الشيخوخة واحتمال تراجع أمل الحياة بسبب الوفيات الناتجة عن الحوادث والامراض ووفيات الياس التي يسببها الادمان والانتحار .

إن للأزمة الديموغرافية عواقب اجتماعية واقتصادية لا يمكن تجاهلها وتكرارها مستقبلا لدول تسير على خطى تلك التي تشهد ثورة رمادية لم تنفع معها سياسات الهجرة وتشجيع الانجاب وتجسد انكماشا ديموغرافيا كبيرا بسبب تراجع سكانها كالصين واليابان وروسيا وإيطاليا.

وفي جهة أخرى من العالم، تعرف دول أخرى طفرة شبابية خاصة في افريقيا جنوب الصحراء ورغم أهميتها اقتصاديا، إلا ان الأوضاع السياسية والأمنية فيها تعرقل استغلالها بما يخدم اقتصادياتها مستقبلا ويظهر انها ستتأكل كفرصة لا تتجدد مما سينعكس سلبا على مستقبلها.

وبظهور جائحة كوفيد-19، أصبحت الازمة الديموغرافية سببا ونتيجة للازمة الصحة، فقد مست الجائحة وبأعداد كبيرة المسنين مهددة الدول التي ترتفع فيها الشيخوخة بعبء اجتماعي واقتصادي إضافي رغم تطور أنظمتها الصحية وتعمق أزمتها الديموغرافية أكثر بسبب الأثر النفسي الذي خلفته الجائحة مما أدى إلى تراجع الزيجات والمواليد .

ديموغرافيا ترتبط استمرارية السكان بعدد كاف من المواليد يضمن تعويض الأجيال ولا يتم ذلك إلا بالمزيد من الولادات ولا يمكن ان تحل الهجرة هذه الازمة لأنها ستعمل على تغيير المورفولوجية الدينية والثقافية والعرقية للسكان ويهدد بزوالها.

## قائمة المراجع:


1. .بخات، اصلاح. (2006/04/07). شيخوخة تتزايد ونم يتضاءل. الاطلاع 2021/08/17. www.swissinfo.ch/ara//5109774
2. .بوردولي، باتريس -ترجمة أحمد ابن الصديق. (2020/03/31). الأوبئة والسكان: الحصيلة والأفاق البحثية. مركز الفا بوست للدراسات. الاطلاع 2021/07/20 https://alifpost.org .
3. .بلوم، ديفيد. (2020). السكان في عام2020. العوامل الديموغرافية يمكن أن تكون محركا قويا لعملية التنمية الاقتصادية ووتيرتها. مجلة التمويل والتنمية. صندوق النقد الدولي.
4. .البقالي، عبد الله. (2021/04/17). كورونا تهدد باختلال البنية الديموغرافية في العالم السبت، الاطلاع: 12/08/ 2021 . https://m.akhbarelyom.com/news/newdetails/3331587/1
5. .ذكر الله، أحمد. (2021/02/25). لماذا حذر اردوغان من التناقض السكاني. الاطلاع 2021/08/10 . https://www.trtarabi.com/opinion
6. .شرقي، محمد (2020/12/30). جائحة كورونا وأثرها على الديموغرافيا. الاطلاع 2021/08/10 .https://www.z-dz.com .
7. .صندوق الأمم المتحدة. (2010). تحليل حالة السكان: دليل مفاهيمي ومنهجي .
8. .عناية الله، سهيل. (2020). طفرة الشباب: مكسب ديموغرافي، وقنبلة زمنية، ومستقبلات أخرى مع إشارة خاصة على منطقة الشرق الاسط وشمال افريقيا. استشراف. الكتاب الخامس. ص301-3019.
9. .اليونيسيف. (2019). منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا. جيل2030. الاستثمار في الأطفال والشباب اليوم لتامين منطقة مزدهرة في المستقبل.
10. .Eberstadt, Nicholas. (2019). With Great Demographics Comes Great Power Why Population Will Drive Geopolitics. July/August 2019. https://www.foreignaffairs.com/articles/world/2019-06- . Consulté le 12/08/2021.
11. Robine Jean-Marie. Traduit par Guerrouche Karine. (2021). Différences de mortalité par Covid-19 : conséquence des infections et de la diversité des systèmes de collecte des données. Ined édition. Population N°1.vol76. p37-76.
12. .Le Figaro avec AFP. (22/07/2021). L'espérance de vie des Américains connaît son plus fort recul depuis la Seconde Guerre mondiale. https://www.lefigaro.fr/international. Consulté le 16/08/2021.

**13.** .Institut Montaigne. (21/04/2020). Covid-19 et démographie : à quoi faut-il s'attendre ? trois questions à.. https://www.institutmontaigne.org/blog/. Publié le 17/11/2020. Consulté le 10/08/2021.

**14.** .INSEE. (2021). Bilan démographique 2020 : Avec la Pandémie de Covid-19, nette baisse de l'espérance de vie et chute du nombre de mariage. INSEE Première.N°1834, janv.

**15.** .INED. (2021). La démographie des décès par covid-19. https://dc-covid.site.ined.fr/fr/donnees/ .consulté le 16/08/2021.

**16.** .Oridioni, Natacha. (2011). Le monde de crise : un paradigme explicatif obsolète ? Une approche sexospécifique. Monde en développement. Vol2.N°154.

https://data.albankaldawli.org/indicator/

https://www.populationpyramid.net/